"محو الهوية الفلسطينية في الحرم الجامعي"، نور اغبارية، جامعة حيفا،", 14.7.2025

المقدمة:

مساء الخير. أعتقد أنه حان وقت بدء لقاءنا اليومي، والذي، كما تقول ايبليت دائمًا، هو مساحة للتعلم والاحتجاج معًا. هذه المرة، نوجه أنظارنا إلى الطريقة التي يعيش بها الطلاب الفلسطينيون العرب تجربة الحرب داخل الجامعات الإسرائيلية. ويسعدنا جدًا أن نرحب بنور اغبارية، طالب الحقوق في جامعة حيفا. بطبيعة الحال، ستتعلق تجربته أساسًا بجامعة حيفا، ولكن يبدو لنا أن الأمور ليست مختلفة كثيرًا في جامعات أخرى. إذًا، نور، الكلمة لك. أمامك ثماني دقائق، تليها أسئلة من خلال الدردشة، كما أُشير سابقًا. تفضل.

المحاضرة:

مساء الخير جميعًا. من الصعب جدًا اختزال كل ما أود قوله في ثماني دقائق فقط. اسمي نور اغبارية، وكما ذكر عيدو، أنا طالب حقوق في جامعة حيفا. أنتمي إلى عائلة فلسطينية. نشأت في يافا — أمي من يافا، وأبي أصله من بلدة مصمص في وادي عارة، وما زالت عائلة أمي تقيم في مخيم عسكر قرب نابلس، حيث تم تهجيرهم خلال نكبة 1948. أنا هنا اليوم لأتحدث عن أمر يصعب قوله علنًا. لا أتحدث فقط عن الخوف، بل عن المحو. ليس مجرد إسكات لرأيي أو لغتي، بل محو لهويتي. الهوية الفلسطينية التي يُفرض عليها أن تتكمش، أن تعيش في الظلال — في مكان من المفترض أن يساعدني على النمو: الجامعة، الأكاديمية. خلال هذه الدقائق القليلة، سأحاول تسليط الضوء على كيف يحدث هذا المحو، انطلاقًا من تجربتي الشخصية.

لقد بدأ الأمر في السابع من أكتوبر — تاريخ غيّر حياة الجميع. لكنه بالنسبة لنا نحن الطلاب الفلسطينيين في الأكاديمية الإسرائيلية، شكّل قطيعة تاريخية. على الفور، حتى قبل اتضاح الصورة الكاملة، وقبل التحقيق أو الفحص، سارعت الجامعة إلى تعليق دراسة الطلاب الفلسطينيين المشتبه في "تعبيرهم غير اللائق" أو الإدلاء بـ"تصريحات غير مناسبة" — دون جلسة استماع، دون إجراء تأديبي، دون سياق. في ذلك الوقت، كان وجود علم فلسطين في السيرة الذاتية (bio) على إنستغرام كافيًا. لم نكن بحاجة إلى قول أي شيء. مجرد الاشتباه، اسم عربي، ارتباط بهوية فلسطينية — كان ذلك سببًا كافيًا لتعليقنا. الرسالة من الجامعة كانت واضحة: هويتك مشكلة. رأيك تهديد. وجودك ذاته غير شرعي. ومنذ تلك اللحظة، واجهنا موجة من الإسكات، والعار، والعنف اللفظي — خصوصًا في مجموعات الواتساب، ولم يتوقف ذلك حتى اليوم، بعد ما يقارب السنتين.

دعوني أعود بكم إلى تلك الفترة. رأينا رسائل مثل: "يجب أن نستخدم القوة ونمحو غزة من على الخريطة — لا نترك كلبًا واحدًا حيًا"، أو "لا يوجد مجال لأن تكون في صف ليس صفنا". هذه اقتباسات حقيقية قرأتها في مجموعات واتساب الجامعة. وإلى جانبها، تحذير مباشر: "الطلاب الذين يرفعون 'علم الهواء'" — وهو تعبير مجازي لعلم فلسطين — "يجب أن يعلموا أنهم معرضون للخطر". ليس "معرضين للعقوبة"، بل "في خطر"! هذا تهديد مباشر، من طلاب، حتى خارج الحرم الجامعي. صفحات على وسائل التواصل تضم عشرات الآلاف من المتابعين بدأت بنشر أسماء ووجوه وصور شاشة للطلاب الفلسطينيين، مما جعلنا أهدافًا. لاحظوا التمييز: الطالب اليهودي قد يقول إن غزة يجب أن تُمحى، ويُعتبر ذلك رد فعل عاطفي مشروع. أما الطالب الفلسطيني الذي يعبر عن ألمه على مدنيي غزة، فيُشتبه فيه فورًا بالإرهاب. إنها فجوة لا تُطاق، مبنية فقط على هوية المتحدث. هذا ليس مساواة — بل نظام يُرسّخ الاشتباه فينا.

فكيف يتم محو الهوية؟ ليس بشكل فج. بل بشكل ممنهج. يبدأ الأمر من التعريف الذاتي — أن تقول "أنا فلسطيني". أن تقولها دون اعتذار، دون تبرير، دون تناقض — فجأة تصبح هذه العبارة استفزازًا. يُقال لنا: "إذا قلت إنك فلسطيني، فأنت تنكر وجود الدولة". هذا يكشف جوهر المشكلة: هويتنا تُرى كإنكار. بدلًا من قبول الهوية كحق أساسي، يُطلب منا إثبات الولاء — أن نُطمئن الآخرين باستمرار أننا لا نشكل خطرًا.

المرحلة الأولى من المحو هي أن نجعل من هويتنا شيئًا نخجل منه. ثم تأتي مرحلة التجريم: أي تصريح سياسي يُفسر على أنه دعم للإرهاب. وإذا بقينا، إذا تجرأنا على الكلام، نصبح حينها ليس فقط مخطئين — بل خطرين. نصبح تهديدًا أمنيًا، مما يُسهل اسكاتنا. ثم جاءت لحظة الاحتجاج الصامت. كانت الذروة حين نظم الطلاب وقفة صامتة للأطفال الذين قُتلوا في غزة. لم تكن سياسية — فقط إنسانية. لم أكن من المنظمين، لكن لأنني أنتمي إلى مجموعة "نقف معًا" الطلابية (وتعني التضامن العربي-اليهودي)، تم استهدافي. الجامعة علّقت دراستنا. غُمرنا بالشكاوى، وأُغرقونا بالكراهية. نُشرت صور الطلاب على صفحات متطرفة. بعضنا تلقى تهديدات؛ آخرون توقفوا عن القدوم إلى الجامعة. لم يجرؤ الطلاب الفلسطينيون على المشاركة في الوقفة — كانوا يعرفون سلفًا كيف سينتهي الأمر. لكن حتى صمتهم مُحي. لا يوجد طريقة مقبولة للتعبير عن الحزن الفلسطيني. حتى اللغة الحذرة، المؤدبة، القانونية، تُعتبر تحريضًا. كل نقد يُعتبر كفرًا بالنعمة.

قيل لي: "أنت تعيش هنا بالنعمة، لا بالحق". والنتيجة؟ أننا نُطبع مع القمع. هكذا يولد الصمت. هكذا نتوقف — نحن الطلاب الفلسطينيين — عن الكلام، عن الظهور، عن الشعور بالانتماء. هكذا نُمحى. من أصعب الأسئلة التي أطرحها على نفسي: هل يُسمح لي أن أكون هنا؟ وهذا ليس سؤال امتياز، بل سؤال وجود. هل يُسمح لي أن أدرس هنا؟ تحت أي شروط؟ وبأي هوية؟ كم من ذاتي يجب أن أكبت كي أستمر؟ في هذا الحرم الجامعي، هويتي تحتاج دائمًا إلى موافقة. لا يمكنني أن أكون فقط. لا يمكنني حتى أن

أطرح أبسط الأسئلة مثل: هل يُسمح لي أن أقول كلمة "غزة"؟ هل يُسمح لي أن أندب طفلًا فلسطينيًا؟ هل يُسمح لي أن أطالب بإنهاء الحرب؟ كل سؤال هو حقل ألغام. الفجوة هائلة: الطلاب اليهود يمكنهم أن يتحدثوا، يبكوا، يحتجوا، يُستمع إليهم. أما أنا، كفلسطيني، يجب أولًا أن أثبت براءتي — أنني أيضًا أهتم بحياة الإسرائيليين. فقط عندها، ربما، يُسمح لي بالكلام — قبل أن يتم تجاهلي. وهنا أحتاج أن أقول شيئًا بوضوح: المشكلة ليست فقط في الطلاب الذين يشتمون، يهددون، أو يحملون آراء عنصرية. المشكلة الحقيقية أن الجامعة نفسها — المؤسسة التي يفترض أن تحميني — إما صامتة، أو متواطئة. هذا ليس شعورًا. بل ملاحظة واقعية. سأوضح ذلك من خلال الرسم البياني التالي.

أولًا: الاتحاد الطلابي اليميني، الذي يدعي تمثيل جميع الطلاب، يعارض صراحة وجود مجموعات طلابية عربية، وحتى نشاط مجموعة "نقف معًا". ثم: تعليق نشاط فرع "نقف معًا". لحظة فارقة. أصبح التعبير عن التعاطف مع الفلسطينيين جريمة يعاقب عليها. ذات مرة، كتبت طالبة فلسطينية في مجموعة الصف: "أخيرًا الجامعة عرفت كيف تضعكم في مكانكم". وكانت تلك "الفرحة" مدعومة مؤسساتيًا. أو خذوا مثال الرقابة على المحتوى. حاولنا عرض فيلم وثائقي بعنوان "لا وطن آخر"، عن قرية فلسطينية في الضفة الغربية. الجامعة منعت العرض. فقط بعد ضغط شعبي هائل، تراجعت عن القرار. لماذا؟ لأن الفيلم "غير مناسب"، حسب أحد أعضاء مجموعة Im Tirtzu ("إذا شئت" اليمينية) في اجتماع مجلس الشيوخ الأخير. المبادئ الحالية، كما يقال، "فعّالة" — فهي تصفي المحتوى غير الجدير. لكن من يقرر ما هو الجدير؟ ليس الجمهور — بل الجمهور اليميني فقط. الطلاب الفلسطينيون يُستدعون أيضًا لما يُسمى "مكالمات التوضيح"، ليشرحوا مشاركتهم في احتجاجات سلمية مشتركة مع يهود وعرب، غالبًا بقيادة أساتذتنا الرائعين. يُستدعون من قبل أمن الحرم الجامعي، ويُطلب منهم التهدئة أو تهدئة زملائهم. أحد قادة الطلاب من مجموعة "حداش" استُجوب من قبل الشاباك، فقط لأنه حضر تلك التظاهرات.

كل هذا يخلق ثقافة من الخوف — والأسوأ، صمت في وجه التحريض. نتلقى تهديدات يومية. رسائل مثل: "اذهب وادرس القانون في غزة"، "العيش في فلسطين أيضًا خيار بالنسبة لي"، أو أسوأ من ذلك: تلقيت شخصيًا رسالة من طالب إسرائيلي زميل قال فيها: "ألحق أعدائي وأدركهم، ولا أعود حتى أفنيهم". إنها آية من سفر المزامير [18:30]، لكنني فهمت المعنى. رسائل أخرى، حتى بالعربية: "أنت لا تستحق حتى أن تقف تحت أقدام جنود الاحتياط لدينا — احترم نفسك".

المشكلة ليست فقط في مضمون هذه الرسائل. بل في رد فعل الجامعة — أو غيابه. بدلًا من حمايتنا، عرضوا علينا الوساطة. كتبنا رسائل، عرضنا كل هذه التهديدات — وكان رد العميد أن نُعد "ميثاقًا للحوار". قالوا إنهم آسفون لما شعرنا به. لكن هذا ليس شعورًا. هذا واقع نعيشه. لو أرسل طالب فلسطيني اقتباسًا من الانجيل مشابهًا لطالب يهودي، لتم تعليق دراسته فورًا، دون طرح أي سؤال. فماذا يحدث؟ أذهب إلى الصف. أجلس بجانب طلاب — أحيانًا أصدقائي، وأحيانًا نفس من هددني الليلة السابقة في مجموعة الواتساب. الشعور دائمًا حاضر: كل كلمة ستُحاكم. هناك اغتراب عميق. أنا موجود جسديًا — لكن لا أنتمي. ليس لأنه لا يوجد طلاب فلسطينيون آخرون. بل لأن معظمنا خائف من الكلام. هناك شعور حقيقي بالخطر — ليس نظريًا، بل ملموسًا. أنا خائف فعلًا من أن يعتدي علي أحد. وربما الحقيقة الأصعب: الجامعة أصبحت مكانًا غير آمن بالنسبة لي.

وفي نهاية كلمتي، أريد أن أتحدث عن شخص يمثل ألم كل الطلاب الفلسطينيين في الحرم الجامعي الإسرائيلي. اسمها شدا خطيب. كانت طالبة حقوق، صديقة، واحدة منا. ذكية، مرحة، شابة. قُتلت في منزلها في طمرة بصاروخ إيراني الشهر الماضي. ولدت عام 2005. وقُتلت عام 2025. كان عمرها 20 عامًا. كانت ستتقدم معنا للامتحانات هذا الصيف. لكنها لن تجلس معنا في الصف بعد الآن. لن تكمل شهادتها. لن تستمر في الحلم. حين اعترفت الجامعة بمقتلها، قيل لنا: يمكنكم الحديث عنها — لكن ليس بشكل سياسي. كيف؟! لقد قُتلت في حرب — حرب لم نختارها. في منزلها. كمدنية، كفلسطينية، كطالبة. أسألكم: لو قُتل جندي إسرائيلي يدرس معنا في المعركة — لا قدر الله — هل كان سيُطلب منا ألا نتحدث عنه سياسيًا؟ ألا نصفه بالبطل؟ أنا لا أطلب معاملة خاصة. لا أريد امتيازات — فقط الحق الإنساني الأساسي في الحزن، في التذكر، في أن أقول: لم تكن مجرد رقم. كان لها اسم، وجه، ابتسامة. لكن لم يُمنح لنا هذا المجال. يُتوقع منا أن نتابع حياتنا. أن نركز على دراستنا. أن نصمت. وأنا أذكر شدا رغم أن الحدث عن غزة — لأن موتها دليل مؤلم على أن حتى موتنا كفلسطينيين غير مرحّب به هنا. أننا، حتى في الموت، يُتوقع منا أن نصمت — سواء في طمرة أو غزة.

في النهاية، كل ما طلبناه هو أن نكون. أن ننتمي. أن نحزن. أن يُنظر إلينا. لكن في الحرم الجامعي، وفي المجتمع الإسرائيلي عمومًا، تُعتبر هويتي الفلسطينية موضع اشتباه. دموعي على طفلة في غزة، أو على صديقة مثل شدا، تُعامل كخيانة. أسئلتي عن الحرب تُعتبر تهديدًا. في فضاء يُفترض أن يجسد التعددية والحقوق وحرية التعبير، أعيش تحت القيد. هذا ليس صدفة. إنه نظام. والصمت ليس حيادًا — بل صمت في وجه العنف، الإقصاء، والتحريض. إنه تواطؤ. وإذا كان لي أن أقول شيئًا واحدًا — مهما كان بسيطًا — فهو: أنظروا إلينا. دعونا نكون. ليس من باب الكرم أو التسامح، بل من منطلق الاعتراف العميق بأن الصوت الفلسطيني هو جزء من هذه القصة أيضًا. وألمنا يستحق مكانًا.